عبد الرحمن الثعالبي متصوفا

أ.د. عليوان اسعيد

جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة:

يحتل الثعالبي مكانة هامة في الذاكرة الشعبية الجزائرية بعلمائها و عامتها، بل و مغنيها أيضا. فكان من العلماء الأكثر حضورا. و قد عاش في عصر انحطاط فكري و سياسي واجتماعي يصعب فيه على المرء التخلص من قيوده الجابذة إلى التخلف والنكوص. و قد استحوذ فيه التصوف السلبي على عقول الناس عامة و خاصة و هو ما يصعب مهمة العلماء المستنيرين إن وجدوا كما يعقد أوضاع المسلمين و يركنهم إلى السبات العميق مما يجعل من الصعوبة بمكان ظهور علماء يشذون عن واقعهم و يعملون على تغييره. و إن ظهروا كانوا قلة نادرة. فهل يمكن اعتبار الثعالبي من هؤلاء العلماء القلائل حيث أنه نبغ في علوم عصره و أبدع فيها و تصوف، و لم يهدف من التصوف إلى إنشاء طريقة تميزه عن غيره و يصبح ملقنا للأذكار و الأوراد و يتخذ الأتباع و الأنصار من المريدين والفقراء، بل جعل التصوف حالة و سلوكا مبناه الزهد والورع والتقوى مما جعله من العلماء القلائل الذي أثروا بتصوفهم دون أن يتخذوا طريقة صوفية كأبي حامد الغزالي (ت 505 هـ/ 1111م) و السنوسي (ت895 هـ/1489م) و هو ما جعل كبار العلماء الذين تتلمذوا عليه يأخذون عنه علمه و أخلاقه و لم يأخذوا عنه طريقة صوفية رغم كونه من كبار المتصوفة؟

و يمكننا صياغة ما سبق بطريقة أخرى فنقول:

إذا كان الثعالبي متصوفا و كان عصره عصر ازدهار التصوف السلبي، فهل يستطيع أن يتحرر من قيد مجتمعه الفكري و يعطي التصوف مفهوما صحيحا ينبع من روح الإسلام؟ أم ينحرف كما انحرف غيره و يزيد المجتمع من حقن التخدير؟

لحل هذه الإشكالية اتخذنا الخطة الآتية:

عصر الثعالبي، حياة الثعالبي: دراسته و رحلته و نتائجها و إنتاجه الفكري، التصوف عنده: مفهوم التصوف و مصدره، مصادر تصوفه، معالم تصوفه السني، عوامل تصوفه السني، تأثيره الصوفي، الخاتمة.

عصر الثعالبي

1- الحياة السياسية

لقد كان سقوط دولة الموحدين في القرن 7 هـ ((مبدأ انحطاط عام، فكثر الملوك و تزاحمهم و تحاربهم. ووجدت الرعايا سبيلا إلى الفوضى، والولاة سبيلا إلى الجور، و فشت المنكرات، و أخيفت الطرقات))[1] و قد انقسم المغرب العربي إلى ثلاث دويلات متصارعة متحاربة. كل واحدة تريد ضم الأخريين إليها، هي:

الحفصيون: و قد اتخذوا تونس عاصمة لهم.[2]

الزيانيون: و قد اتخذوا تلمسان عاصمة لهم.

المرينيون: و قد اتخذوا فاس عاصمة لهم.

و لما كانت الجزائر تتوسط هاتين الدويلتين، فإن الضغط عليها كان شديدا من الطرفين، فانعكس ذلك على أهلها، فكثرت الفتن، و قلّ الأمن و ضعف سلطان الدين في النفوس فكثر أدعياء التصوف و ظهرت الآفات

الاجتماعية و كثرت المجاعات [3].

أما مدينة الثعالبي (الجزائر العاصمة) فقد كتب فيها لعائلته أن تواجه كلا من المرينيين والحفصيين و الزيانيين الذين قلصوا نفوذها من تيطري إلى ولاية الجزائر، فاستقرت بمتيجة أواخر القرن 7 هـ و أجبرت على دفع الإتاوات للمرينيين والحفصيين أيام استيلاء كل منهما على العاصمة، و قد أزال سلطة الثعالبة أبو حمو موسى الثاني الزياني سنة 780 هـ / 1378م الذي تتبعهم بالقتل والنهب و السبي [4] و لكنه إذا كانت سلطة الثعالبة السياسية قد أزيلت فإن نفوذهم الروحي لم يزل مما جعل سكان الجزائر العاصمة يتخذون مجلسا محليا يحكمهم سمي بمجلس الجماعة آل أمر رئاسته إلى الشيخ الثعالبي [5]، و هو ما يبرز لنا مكانة عائلته المرموقة.

و نتوصل مما سبق إلى أن الشيخ الثعالبي عاش في العهد الزياني و قد ابتليت الجزائر فيه بعاملين أذهبا ريحها: العدوان الخارجي و الفتن الداخلية، و قد انعكس كل ما سبق على الحياة الاجتماعية والثقافية مما يضطرنا إلى الإشارة إليهما.

2- الحياة الاجتماعية:

الأوضاع السياسية السابقة كان لها أثرها على الحياة الاجتماعية و يمكن أن نلخص ذلك فيما يأتي:

تردي الحالة الاقتصادية والتوزيع غير العادل للثروات [6]، و من أسباب ذلك: تحالف الدولة مع أعيان القبائل فكانت تغدق عليهم العطايا و تقتطعهم الأراضي بالإضافة إلى تقريب أهل الذمة و لا سيما اليهود الذين اتخذهم بعض الأمراء مستشارين لهم [7] و قد ازداد عددهم فرارا من محاكم التفتيش بالأندلس.

فطغوا و تجبروا و أخذوا يمارسون كل أنواع الاستغلال و الاحتكار و الإيقاع بين الناس و شراء ذمم من استطاعوا من الحكام و تقديم نصائح الغدر لهم[8] و بث الانحلال الأخلاقي وسط المسلمين.

هذه الظروف و غيرها أدت إلى تفكك المجتمع فكثرت المجاعات و فسدت الأخلاق، فانحاز نتيجة لذلك كثير من الناس إلى الهروب من الواقع الاجتماعي المتعفن والانقطاع للعبادة، فظهر كثير من أدعياء التصوف و صار كل مستغل للعامة باسم الدين و متقرب للسلطان باسم الطريقة يعد قطبا تأتيه الجبايات ويقصده الناس بالرشى و القرابين، و الحكام بالعطايا والهدايا[9]. و نوافق هنا مالك ابن نبي (ت 1393 هـ/ 1973م) الذي يرى أن الجزائر التي شيدت المعابد للدراويش المتصرفين في الكون – أصبحت ((على الرغم من إسلامها – تدين بالوثنية التي قامت نصبها في الزوايا. هنالك كانت تذهب الأرواح الكاسدة لالتماس البركات و لاقتناء الحروز والخوارق والمعجزات))[10] و أملهم دخول الجنة التي وعدوها من طرف الشيوخ بلا كد و لا عمل إلا ما يتلمسون من رضا شيوخهم و دعواتهم[11]. و هو ما سيكون له أثره البالغ على الحياة الثقافية.

3- الحياة الثقافية

لقد تبين لنا مما سبق أن عصر الثعالبي عصر انحطاط سياسي واجتماعي مما سيكون له أثره البالغ على سير الثقافة رغم وجود مؤشرين إيجابيين هما:

1- اهتمام ملوك بني زيان بالثقافة.

2- هجرة كثير من علماء الأندلس إلى الجزائر نتيجة للظروف التي كانت تمر بها[12] . و هو ما جعل كثيرا من المدارس منتشرة في كل من تلمسان[13]

و بجاية و غيرهما عكس مدينة الثعالبي التي لم يكن بها سوى كتاتيب تعليم القرآن[14].

و لكنه رغم ما ذكرنا فإن أغلب الدراسات العلمية لم يستطيع أصحابها الخروج من إطار عصرهم فغلب عليها طابع تكرار ما مضى أو شرحه، كما سيطر التصوف السلبي على كثير من المفكرين، فانعكس ذلك على مؤلفاتهم فأدى ذلك إلى انزلاق العقل إلى الحضيض إلى حد أن صاحب الطريقة اليوسفية أحمد بن يوسف الهواري الواجودي (ت 927 هـ / 1521م) يدعي أحد أتباعه فيه النبوة فيتبعه الأحلاف من البوادي و أهل الأهواء من الحواضر. و عندما توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي (ت 870 هـ / 1465 م) قام تلميذه عمر المريدي (ت 890 هـ / 1485 م) بالانتقام من أعداء شيخه و قتل الفقهاء. فطارت شهرته . فاستغل هذا ليدعي النبوة[15] . هذا النوع من أدعياء التصوف هم الذين قال فيهم عبد الرحمن الأخضري (ت 953هـ / 1546م) :

و زنتهم بالشرع فهو نائي منهم كمثل الأرض والسماء

و زنتهم بمنهج الحقيقة فلم أجد لهم منها دقيقة

بل هتكوا محارم الشرع القويم فنكبوا على الصراط المستقيم[16]

و هكذا كثر الدراويش و الدجاجلة فهددوا الحياة العقلية في البلاد بأسرها[17] فغيب العقل الإسلامي عن الواقع والحياة، و عن النظرة المستقبلية، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تسير بخطى متزنة نحو إدراكها لهويتها الثقافية و إرجاعها للعقل قيمته مما يجعل هذا النوع من التصوف مرضا من أخطر الأمراض التي أصابت المسلمين. و حين نقول هذا فإننا لا نقصد به التصوف

السني، لأنه تصوف بناء و أصحابه هم الذين حافظوا على الإسلام و عملوا على نشره حتى في أحلك الظروف التي مر بها المسلمون قديما و حديثا.

و نتوصل مما سبق إلى أنه في ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية ولد شيخنا الثعالبي. و هنا ننتقل إلى الحديث عن حياته.

حياة الثعالبي

اسمه و لقبه و أصله و نسبه:

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري[18]. ينتهي نسبه إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه و سلم[19]. ولد بواد يسر غير بعيد من عاصمة الجزائر سنة 786هـ أو 787هـ / 1385م أو 1386م كما بين هو بنفسه[20]. و توفي سنة 873هـ أو 875هـ / 1468م أو 1470م[21]. عن عمر يناهز 90 سنة[22]. و دفن بالعاصمة و ضريحه معروف بالقصبة[23].

نشأته:

نشأ في أسرة عريقة في المجد والشرف والنسب، فهو ينتسب من جهة إلى سيدنا جعفر رضي الله عنه، و من جهة أخرى إلى الثعالبة الذين حكموا متيجة و غيرها[24] مما يجعله يجمع بين شرف العرق و العلم و الحكم.

دراسته و رحلته:

بدأ الثعالبي دراسته في سن مبكرة كعادة الأطفال الذين يولدون في أسر مثقفة، و لكن هذه الدراسة اقتضت منه رحلة طويلة و شاقة -و قد ذكرنا أن مدينته كانت تعيش فقرا ثقافيا- تتلمذ فيها على كبار العلماء و تحاور معهم

مشرقا و مغربا في تنوع من البيئات الثقافية فجاء إنتاجه العلمي خصبا و متنوعا.

و قد بدأت هذه الرحلة من منطقة يسر إلى الحجاز، فدخل بجاية سنة 802هـ / 1399م و تتلمذ على كبار علمائها أصحاب العلامة المتصوف ابي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت 786 هـ / 1384 م)[25] فتأثر كثيرا بهذه المدرسة[26] الوغليسية كما تتلمذ أيضا على أصحاب أبي العباس أحمد بن إدريس (ت 760 هـ / 1358 م)[27]. كما يعد من بين تلاميذ أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي البجائي المتصوف صاحب كتاب الأنوار المنبلجة من أسرار المنفرجة.[28] تتلمذ على هؤلاء و غيرهم علوم المعقول و المنقول[29] . و من بجاية انتقل إلى تونس ، فدخلها في أواخر 809هـ / 1406م فتتلمذ على أصحاب ابن عرفة (ت 803 هـ / 1399م) كأبي مهدي عيسى الغبريني الذي يعد من كبار علماء عصره. و غيره ، و لكن أغلب دراسته كانت على الشيخ أبي عبد الله محمد بن خلف الأبي (ت 827 هـ / 1423م) الجامع بين علمي المعقول والمنقول .

و من تونس اتجه إلى مصر ليتتلمذ على المحدث الصوفي أبي عبد الله محمد البلالي (ت 820 هـ / 1416 م) فأخذ عنه البخاري و كثيرا من اختصاره للإحياء[30]. و من مصر اتجه إلى بورصة بتركيا فأقيمت له زاوية بها، ثم اتجه إلى الحجاز - مرورا بالعراق و فلسطين و غيرها - ليحج و يتتلمذ ، فدرس بمكة المكرمة[31] بعض الموطأ ثم عاد إلى مصر ليدرس على مجموعة من العلماء أهمهم شيخ المحدثين ولي الدين أحمد بن محمد العراقي (ت 826 هـ / 1443م) فأخذ عنه الحديث و علومه ، وأجازه و فتح الله على الثعالبي فتحا عظيما كما بيّن بنفسه[32]. ثم رجع إلى تونس ليتتلمذ من جديد على مجموعة من العلماء من أهمهم الشيخ أبي القاسم البرزلي (ت 844 هـ /

1440 م) الذي أخذ عنه البخاري ، و كان قد تتلمذ عليه في الذهاب و صار الثعالبي في تونس حجة في علم الحديث حيث لم يعد بها من هو أعلم به منه. و مع ذلك فلا يسمع بمجلس يروى فيه الحديث إلا حضره. كما تتلمذ هذه المرة على الشيخ ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1438 م) الذي قدم تونس سنة 819 هـ / 1416 م و أقام بها سنة ، فأخذ عنه كثيرا والموطأ، و أجازه هو والأبي . و من تونس عاد إلى مدينة الجزائر ليستقر بها[33] و يعتكف على نشر العلم و هداية الخلق والانقطاع للعبادة والتأليف[34] .و نسجل هنا للثعالبي خاصية امتاز بها تتمثل في تخليده لكل العلماء الذين تتلمذ عليهم فعرف بهم وبنفسه و بإجازاتهم له والعلوم التي درسها عليهم[35].

نتائج الرحلة:

لقد كانت هذه الرحلة خصبة و غنية من جميع جوانبها ، فانطلقت من الجزائر إلى تونس و مصر و تركيا والعراق و بلاد الشام ثم أداء فريضة الحج[36] و العودة إلى تونس سنة 819 هـ / 1416م [37] ومنها إلى الجزائر . فاستغرقت 17 عاما مما جعله يطلع بدقة على أوضاع المسلمين المختلفة، السياسية والاجتماعية والثقافية فيستفيد من ذلك، كما يستفيد من تنوع العلماء والمناهج التربوية فيثري ذلك شخصيته و علمه الغزيز ويجعله متضلعا في مختلف العلوم العقلية والنقلية ممّا يكون له الأثر على اتجاهه الصوفي، و قد أجازه كبار العلماء كابن مرزوق الذي أجازه في كل الصحاح والموطأ و غيرهما كما أجازه في القراءات و مواد التصوف، مثل صفوة التصوف للمقدسي (ت 507 هـ/1113م) ورسالة القشيري(ت456هـ/ 1073م) ومعارف للسهروردي (ت587هـ/1191م) وهو ما جعله متضلعا في التصوف فجاء منهجه الصوفي كما سنبين مبنيا على دراية تامة. و أجازه الأبي في الفقه والتفسير كما أجازه ولي

الدين العراقي في مصنفاته و ما درسه عنه[38].

إنتاجه الفكري:

ترك الثعالبي إنتاجا علميا هائلا يفوق 90 كتابا في مختلف العلوم العقلية و النقلية ذكرها في فهرسته[39] منها : ((الجواهر الحسان في تفسير القرآن)) في 4 م . و" الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز" و " كتاب الأبرار في معجزات النبي المختار " و " الأربعون حديثا مختارة " و " المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في القراءات " و " الأنوار المضيئة الجامع بين الحقيقة والشريعة" و " رياض الصالحين " و " العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة " و " شرح ابن الحاجب الفرعي " في جزئين و " " غرر ابن عرفة مع جواهر المدونة " في سفرين و " إرشاد السالك "[40] و " كتاب النصائح " و " قطب العارفين "[41] و " حقائق في التصوف " و " رياض الأنس في علم الدقائق و سير أهل الحقائق [42] و" جامع الهمم في أخبار الأمم في سفرين ضخمين [43]. و قد امتازت هذه المؤلفات بالأصالة و التعمق والشمول، نستشف منها أن شخصية الثعالبي كانت تتقاسمها عوامل ثلاثة:

1- العيش في رحاب القرآن الكريم فهما و تأملا و تفسيرا و تطبيقا.

2- العيش في رحاب الحديث النبوي الشريف إلى حد أنه أصبح من رواته و مدرسيه في الجزائر و تونس[44]. فقد أصبح سندا في علم الحديث من النبي صلى الله عليه و سلم إليه إلى من أتى بعده.

3- العيش في رحاب الزهد والتصوف و هو ما اخترنا بحثه.

التصوف عند الثعالبي

لكي نناقش تصوف الثعالبي و نصل إلى كنهه ننطلق من تحديد مفهوم التصوف و مصدره لنصل إلى مصادر تصور الثعالبي و منه نتوصل إلى معالم تصوفه السني أي مفهوم التصوف عنده.

مفهوم التصوف و مصدره

أ - مفهومه:

اختلف الباحثون حول مفهوم لفظ التصوف، فقيل بأنه لا اشتقاق له و لا قياس في العربية و أنه لقب، و قيل بأنه اشتق من الصفاء، أو من الصفة و هو أيضا بعيد من جهة القياس اللغوي، و قيل من الصوف بسبب لبس الزهاد له تميزا لهم عمن كان يلبس فاخر الثياب[45] و قيل من الصفة، و هي مكان بمسجد النبي صلى الله عليه و سلم كان يقيم به مجموعة من فقراء الصحابة رضوان الله عليهم و هي نسبة أيضا غير سليمة نحويا و إلا قيل صفي لا صوفي[46] و قيل اشتق من كلمة فيلوسوفوس اليونانية . بمعنى حب الحكمة[47] و هو بعيد في نظرنا عن الصواب لأن التصوف ليس ناشئا عن الفلسفة اليونانية. و قيل : هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، و باطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال [48]".

و قيل هو تصفية القلب عن موافقة البرية، و مفارقة الأخلاق الطبعية، و إخماد صفات البشرية، و مجانبة الدعاوي النفسانية، و منازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة. و استعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، و اتباع رسوله صلى الله

عليه و سلم في الشريعة "[49] و قيل هو " صفاء المعاملة مع الله تعالى و أصله التفرغ عن الدنيا " [50]. و قيل: هو " الصبر تحت الأمر والنهي "[51]. و قيل " : الأخذ بالحقائق، و الكلام بالدقائق، و الإياس مما في أيدي الخلائق "[52]

و يمكن أن نتوصل مما سبق إلى أن مفهوم التصوف يتمثل في " العكوف على العبادة . و الانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه. و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة "[53]. و كان هذا عاما في الصحابة والسلف. فلما أخذ الناس يجنحون إلى الدنيا ابتداء من القرن 2 هـ جنح أناس إلى الزهد والانقطاع للعبادة فسموا بالصوفية والمتصوفة[54] و يعد أبو هشام الكوفي (ت 149هـ/ 766 م) أو ل من تسمى بالصوفي [55]. وهنا ننتقل إلى الإشارة إلى مصدر التصوف.

ب - مصدر التصوف:

لقد اختلف في تحديد مصدر التصوف كما اختلف في تحديد مدلوله و يمكن أن نحدد اتجاهات الباحثين في ذلك في اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى أصحابه بأن مصدره تمازج الملل والنحل السابقة عن الإسلام من مذاهب فارسية و هندية و صينية و نصرانية طعمت بما أتى به القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف بما يدعو إلى التقشف[56] و هو ما يجعل التصوف دخيلا على الإسلام. و قد تبنى هذا الاتجاه معظم المستشرقين المهتمين بالتصوف مثل رينولد نيكولسون (R. Nicolson) (ت 1943م) و جولد زهير (Gold Ziher) (ت 1921 م)[57]. و قد بالغ البارون كارادي فو فأدّعى نفي أي أثر للقرآن الكريم في المتصوفة ، متهما له بالخلو من الحنو الداخلي و الروحي[58]. أماّ لويس ماسينيون (Louis Massignon) (ت

1962م) فقد اعتبر الحركة الصوفية الإسلامية حركة روحية و لكنها في زعمه امتداد لرسالة المسيح[59]،و لسنا ندري أي روحية كانت تحتوي عليها المسيحية آنذاك ؟ و ماذا يأخذ منها المتصوفة؟ هل يأخذون الوحدانية و هي تقوم على التثليث؟ أم الدار الآخرة والشريعة و هما فيها مفقودان؟ أم النبوة، و جميع الأنبياء فيها - باستثناء محمد صلى الله عليه و سلم - زناة حتى بمحارمهم، سفاكين للدماء، سكيرين، محتالين...[60].

و لا يمكن الزعم بان المسلمين تأثروا بالرهبانية النصرانية، لأن نقد القرآن الكريم الحاسم لها يجعل ذلك مستحيلا "و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم و كثير منهم فاسقون "[61] كما بين النبي صلى الله عليه و سلم رفض الرهبنة و ها هو نص الحديث كاملا، " عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه و سلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه و سلم، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها و قالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه و سلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر . قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا . و قال الآخر: و أنا أصوم الدهر و لا أفطر، و قال الآخر: و أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم فقال: " أنتم الذين قلتم كذا و كذا ؟ أما و الله إني لأخشاكم لله و أتقاكم له لكني أصوم و أفطر ، و أصلي، و ارقد، و أتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني "[62].

و الواقع أن هذا الموقف إن هو إلا انبثاق عن حركة الاستشراق في القرن 19 – عصر الاستعمار الغربي النصراني للعالم الإسلامي – التي حاولت رد كل ما هو إسلامي إلى أصول غير إسلامية و قد تأثر بها بعض المسلمين[63].

الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أن التصوف إسلامي محض في أصله و نشأته و إن كان بعض المتصوفة تأثروا بأفكار غير إسلامية و هو ما يجعلنا نقسم التصوف إلى قسمين:

1-قسم سني: بدأ زهدا ثم تصوفا، ذلك أنه بدأ باستنباط حياة زهدية من القرآن والسنة و سيرة الصحابة، ثم صار تصوفا و صار التصوف علما مبنيا على قواعد عملية احتضنه الأشاعرة منذ أبي حامد الغزالي [64] (ت 505 هـ /1111م) الذي وضع أصول التصوف السني و بين طرقه و وسائله في الإحياء[65]، فصيّره علما مدونا نظريا و عمليا في آن واحد[66] بعد أن كان عبادة تتلقى أحكامها من العلماء مشافهة.

2-قسم فلسفي: بدأ زهدا فتصوفا مثل الأول. و لكنه تحول إلى فلسفة بمزج أصحابه له بالتراث اليوناني والهندي والفارسي و غيره في فلسفة ظاهرها إسلامي و باطنها ليس كذلك[67] حيث ينطلق بعضه من الكتاب والسنة و بعضه الآخر يخالفهما و يفسرهما تفسيرا غنوصيا، و صار هذا النوع الممزوج يقوم على الحلول و الاتحاد[68] و غيرهما.

هذان القسمان هما اللذان سادا الفكر الإسلامي والحياة العملية و هنا نتساءل:

ما هو الاتجاه الذي سار في نطاقه شيخنا الثعالبي؟ و بعبارة أخرى ما هو مصدره في التصوف؟

مصادر تصوف الثعالبي:

ينتمي الثعالبي في تصوفه إلى الاتجاه السني فلا يقول بحلول و غنوص و لا يذهب مذاهب وحدة الوجود[69] و هو ما يظهر جليا من خلال

مصادره و ما أنتجه في التصوف، و ها هي مصادر تصوفه.

أولا: أبو حامد الغزالي، و قد تأثر به من خلال ما يأتي:

1-أسرته و بيئته: يبدو أن أول اتصال للثعالبي بفكر الغزالي كان بواسطة جده مخلوف الذي كان متصوفا بلغ في سلوك الطريق الغاية والنهاية كما بين الشيخ الثعالبي نفسه[70] و كان خط الغزالي الصوفي منتشرا في أسرة الثعالبي و بيئته. ذلك أن تأثير الغزالي الكبير في المغرب الإسلامي إنما كان بواسطة ابن تومرت (ت 524 هـ / 1129 م) الذي أيد شيخه الغزالي[71] و طبق منهجه، فصار لمؤلفات الغزالي مكانة هامة أخذ العلماء على اختلاف تخصصاتهم يهتمون بها[72].

و لكنه إذا كان اتجاه الغزالي السني في التصوف هو الذي ساد في بيئة الثعالبي فإنه خلط بالشعوذة والدروشة و سيطر على عقول العامة والخاصة كما بينا في عصر الثعالبي فكثرت الطرق الصوفية الضالة في وسط مجتمع جاهل يصدق كل ناعقة[73]، و هو ما يصّعب رسالة الثعالبي و مهمته.

2-تلمذته على كتب الغزالي: لقد تتلمذ في بجاية كما ذكرنا على أصحاب العلامة المتصوف أبي زيد عبد الرحمن الوغليسي فتأثر كثيرا بمدرسته[74]، كما درس بمصر على المحدث الصوفي أبي عبد الله محمد البلالي فدرس عنه البخاري و كثيرا من اختصاره لإحياء علوم الدين - و سيكون لكتاب الإحياء تأثير كبير في فكر الثعالبي-

تأثره بكتاب الإحياء: لقد تأثر كثيرا بكتاب الإحياء مما جعله ينقل منه كثيرا في ((الجواهر الحسان)) وفي غيره و يتبنى منهجه الصوفي، و من الأمثلة على هذا :

فقد نقل عن الغزالي في تفسير قوله تعالى " **و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** " [75] ما نصه: " قال الغزالي رحمه الله في كتاب الإحياء " فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد ؟ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء و استجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم. ثم في الدعاء من الفائدة أنه يستدعي حضور القلب مع الله عزوجل، و ذلك منتهى العبادات، فالدعاء يرد القلب إلى الله عزوجل بالتضرع والاستكانة، فانظره فإني آثرت الاختصار "[76].

و نقل عنه أيضا في تفسير قوله تعالى " **كلا بل تحبون العاجلة** " [77]أي الدنيا و شهواتها – ما نصه " اعلم أن رأس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا، و رأس أسباب النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور، و قال رحمه الله: اعلم أنه لا وجود إلى سعادة لقاء الله سبحانه في الآخرة إلا بتحصيل محبته و الأنس به في الدنيا، و لا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، و لا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر. و لا يحصل الأنس إلا بالمحبة و دوام الذكر و لا تتيسر المواظبة على الذكر و الفكر إلا بانقلاع حب الدنيا من القلب، و لا ينقلع ذلك إلا بترك لذات الدنيا و شهواتها، و لا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات، و لا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف المحرقة للشهوات"[78،79].

و لقد بلغ تأثر الثعالبي بالإحياء أن جعله من أهم مصادره في كتابه الذي لا يقدر بثمن " العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة " كما نص على ذلك الثعالبي قائلا: " و قد ألف العلماء في هذا المعنى " ذكر الموت و ما بعده من أمر الآخرة " تصانيف جليلة كأبي حامد الغزالي و أبي عبد الله محمد بن أ حمد القرطبي (ت 671هـ / 1272 م) و أبي محمد عبد الحق الإشبيلي (ت 631 هـ / 1233 م) وغيرهم، و سأذكر إن شاء الله تعالى في كتابي هذا من كلامهم

و كلام غيرهم من الأئمة....."[80]

و مما نقله عنه ما يتعلق بدور تذكر الموت في الاستقامة[81]. و باب ما قيل في القبور حيث بدأه بقوله: " قال الغزالي في الإحياء "[82] كما تأثر به في تهذيب النفس والتوبة و ذم الدنيا والاستعداد للدار الآخرة و تفاصيلها. و هو ما نجده في الإحياء على سبيل المثال في كتاب ذم الدنيا[83] و في كتاب التوبة [84] و في كتاب ذكر الموت[85].

تأثر الثعالبي بكتب الغزالي الأخرى:

إذا كان الثعالبي قد تأثر بكتاب الإحياء كما ذكرنا، فقد تأثر بكتب الغزالي الأخرى[86] أيضا .و لقد بلغ هذا التأثر إلى حد استيحاء عناوين بعض كتبه من عناوين كتب الغزالي. فقد استوحى ((الجواهر الحسان)) من ((جواهر القرآن)) و ((العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة)) من ((الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة)) و ((الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة)) من ((مشكاة الأنوار))[87]

و يشبه الغزالي أيضا من حيث جعله التصوف علما و سلوكا قائما على الكتاب والسنة، وعمله الدؤوب على نشر العلم لا تلقين الطريقة.

ثانيا: المتصوفة السنيون الآخرون:

إذا كان الغزالي و إنتاجه قد أثر على الثعالبي فإن هناك متصوفة سنيين آخرين تأثر بهم الثعالبي ، منهم:

القشيري (ت 456هـ / 1073م) في رسالته ، والحارث بن أسد المحاسبي (ت 243هـ/856م) من رعايته و من مختصرها للعز بن عبد

السلام (ت 606 هـ / 1209 م) و ابن عطاء الله السكندري (ت 707هـ/1307م) من تنويره. كما تأثر بأبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ / 1258م)و أبي مدين الغوث (ت 549هـ / 1197م) و عبد الحق الاشبيلي (631هـ / 1233م) و القرطبي[88] (ت 671هـ / 1272 م).

و لما كان هؤلاء يمثلون الاتجاه السني في التصوف استنتجنا أن تصوف الثعالبي كان سنيا.

معالم تصوفه السني (مفهوم التصوف عنده)

لقد ذكرنا قبلا مصادر تصوفه، و تبين لنا أنها سنية، و لكن ذلك لا يكفي ليكون تصوفه سنيا، بل لا بد من تحديد تصوره لقضايا التصوف لنتوصل من خلالها إلى إصدار حكم موضوعي على تصوفه، هذه القضايا هي:

1- **الطريقة:** نبدأ إشارتنا إليها بالتساؤل: هل أخذ الثعالبي طريقة صوفية؟ و على يد من؟ و هل كان يلقن مبادئها؟.

إن ما رجعنا إليه من مصادر لم نجد فيه إشارة إلى أخذه طريقة صوفية ما على أحد رغم أن ذلك كان في عصره عاديا كما أننا لم نعثر على ما يثبت تلقينه الطريقة لأحد. بل وجدنا أنه كان يلقن العلم والخلق. والدليل على هذا تلاميذه، حيث لقنهم العلم و لم يلقنهم الطريقة. و من هؤلاء التلاميذ السنوسي التلمساني وأخوه لأم على التالوتي (توفيا 895 هـ/ 1489م) اللذان بعد أن قرءا عليه الصحيحين وغيرهما و أجازهما بالجزائر العاصمة[89] اتجها إلى وهران لأخذ الطريقة على العلامة إبراهيم التازي[90] (ت 866هـ/1461م). فلو كان يلقن الطريقة لأحد لأخذها عليه و لما اضطر للذهاب إلى وهران لأخذ

الطريقة. و ما يقال عن السنوسي و أخيه يقال أيضا عن التلاميذ الآخرين المشابهين لهم كالمغيلي (ت 909 هـ /1503م) و أحمد زروق (ت 899 هـ / 1493م) الذين أخذوا عنه العلم دون الطريقة.

و الثعالبي يشبه هنا تلميذه السنوسي المتأثر به الذي كان أيضا يلقن العلم لا الطريقة الصوفية رغم أخذه لها عن إبراهيم التازي كما يشبه الغزالي أيضا.

2-الولاية: مفهوم الولي عنده مفهوم قرآني ، فقد عرف الأولياء في تفسير قوله تعالى[91] : " **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون** "[92] بأنهم " المؤمنون المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة، و هذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن و اتقى الله فهو داخل في أولياء الله . و هذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي"[93] ، و قد استند إلى كثير من الأحاديث النبوية خلاصتها أن الأولياء ((ناس من أبناء الناس، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله و تصافوا فيه هم خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورا و ثيابهم نورا، يفزع الناس يوم القيامة و هم لا يفزعون و هم أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون)) [94].

3-اللباس: اعتاد كثير من المتصوفة اتخاذ جبة من صوف يسمونها الخرقة الشريفة علامة على الزهد والتقشف يتميزون بها عن غيرهم . و تعد من ضمن مراسيم أخذ الطريقة بحيث يلبسها الشيخ لمريده .

و لكن الشيخ الثعالبي كان يلبس اللباس المعتاد بين أهل منطقته و لم يكن يلبس لباسا مخصوصا يعرف به كما كان يعرف أهل الطرق الصوفية، و ها هو السنوسي يحدثنا عن لباس شيخه الثعالبي فيقول: " كنا يوما مع سيدي عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله و عليه ثوب ابيض و على رأسه عمامة عريضة

مسدولة على ظهره، قال: فوقف على مكان مرتفع و نحن أسفل منه، فنظرت إلى ساقيه فرأيت طرف ثوب من شعر ملاصق بجسده فتعجبت من زهده رضي الله عنه، حيث جعل الثوب الأبيض من فوق، فمن رآه بذلك الثوب الأبيض يظن أنه من أهل الدنيا و هو في باطن الأمر على خلاف ذلك[95] " و هو ما بين زهده.

4-الخلوة: اختلف مفهومها عند المتصوفة، فبعضهم يعرفها بأنها ((محادثة السريع الحق حيث لا ملك و لا أحد سواه))[96] و عرفها البعض بأنها ((ترك اختلاط الناس و إن كنت بينهم و قيل: " الأنس بالذكر والاشتغال بالفكر، و قيل هي العزلة "[97] . و المقصود بها أن المتصوف يبتعد عن الناس و ينعزل عنهم كي يشتغل بالذكر والعبادة، و هنا ينفصل عن الحياة الاجتماعية فلا يعيش مآسيها و ما تعانيه الأمة، لا تهمه إلا سلامة نفسه من الذنوب، و هذه عزلة سلبية، و هو في تصورنا ما جعل الثعالبي لا يعتبر الخلوة انفصالا عن الحياة الاجتماعية ، بل هي عزل الحواس عن التصرف في المحسوسات بحيث يعد هذا شرطا أساسيا لإبعاد النفس عن الآثام، و كلما ضعف عزل الحواس أو أهمل غويت النفس و تعمقت صفاتها الذميمة، ذالك أن كل الآفات إنما تدخل على النفس غالبا من جهة الحواس[98].

5-المعرفة: المقصود بها هنا معرفة الله عز وجل، فهل تتم بالعقل أم بالذوق؟ نعرف كلا منهما و نحلل القضية لنصل إلى موقف الثعالبي.

العقل: العقل هو((تلك الملكة الفطرية في الإنسان التي يستطيع بها أن يرتب محصول الحواس، و أن يدرك ما وراءها من المعاني المجردة، و أن يميز بطرق و مناهج معينة بين ما هو حق و ما هو باطل، و أن يستنبط المصالح و الأغراض ، و هو أساس التكليف فمن لا عقل راشد له ليس مخاطبا بالدين

أصولا و فروعا))[99].

أما الذوق: فيعرفه التهانوي (ت بعد 1158هـ/1745م) بأنه ((أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي))[100] و هو ((نور عرفاني يقذفه الله بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره))[101]. و من هنا فإن أغلب المتصوفة اتخذوا منهجا مخالفا لمنهج العقل . و انتهوا إلى أن معرفة الله عز وجل لا تتم باستخدام المنهج العقلي أو الحسي و إنما بمنهج خاص هو الذوق، و هكذا رفضوا العقل وآدته وآلته أي المنطق.[102]

و بناء على هذا يمكن أن نصنف إيمان الناس إلى ثلاثة أصناف: عوام، و إيمانهم إيمان التقليد المحض. و متكلمون[103]، و إيمانهم قريب من درجة إيمان العوام. و عارفون، و إيمانهم هو المشاهد بنور اليقين، و إيمان هؤلاء يقين مطلق، لأنهم يشاهدون الغيب بنور اليقين، لا بإدراك العقل و لا الحس، و سبيلهم تزكية النفس، و هو طريق صعب المرتقى، و لذا لا يمكن سلوكه إلا لطائفة قليلة من الناس[104] .

و الحقيقة أننا نرفض هذا المنهج بهذه الكيفية لأسباب كثيرة منها، أن الذوق ذاته غامض و غير منضبط ، و خاص ، و معرفة الله لا بد لها من منهج دقيق محدد واضح يتبعه كل من يريد هذه المعرفة ، لأن الشرع أتى لجميع الناس لا لفئة خاصة. و هو ما بينه الثعالبي بدقة في تقسيمه المعرفة إلى معرفة لا تتاح إلا للخواص - و هي المعرفة الذوقية – فيصفها بأنها غامضة لا تتحملها أكثر الأفهام، و معرفة يمكن أن يفهمها كل أحد على حد تعبيره. أي المتصوفة وغيرهم، و هي المعرفة العقلية والحسية، ذلك أن الآدمي يعلم من

وجود ذاته وجود الله عز وجل[105] و هو ما يسمى اليوم دلالة الأنفس. و يرى بأن من عرف الله أطاعه، و من جهله عصاه[106] و معنى هذا أن المعرفة تسبق الطاعة و هو عكس ما يراه أصحاب المعرفة الذوقية كما أن المعرفة لا تحصل كما بيّن بدقة إلا بدوام الفكر[107].

و هكذا يحسم الثعالبي بدقة هذه القضية.

والواقع أن هذا هو الذي يتوافق مع منهج القرآن الكريم، فهو لا يقسم الناس إلى عامة و خاصة. لأن الحكم الشرعي الذي هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين[108] يخاطب كل من له عقل ، و خطاب القرآن الكريم إنما هو لجميع البشر ((**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**))[109] و ليس فيه خطاب لفئة دون أخرى.

يضاف إلى ما سبق أن قضية رفض العقل سهلت لكثير من المشعوذين أدعياء الولاية ((اتخاذ تلاميذ من النساء والرجال و نصبوا أنفسهم لإعطاء العهد و تلقين الذكر، و كانوا يخالطون الظلمة والمفسدين و يدخلون على النساء في بيوتهن))[110].

والخلاصة مما سبق : أن القول بالذوق وحده تعطيل للمعرفتين العقلية والحسية مما يفقد الإنسان في نظرنا أهم خواصه كإنسان و لم تعد هناك حاجة لأن يبعث الله رسلا لهداية البشر إذ أن الذوق يكفي، و هذا مخالف لتاريخ الرسالات . والثعالبي يرفض أن يكون الذوق هو مصدر المعرفة الأساسي، و يظهر هنا هذا جليا فيما يأتي:

أ-تقريره السابق بغموض المعرفة الذوقية و عدم تحمل أكثر الأفهام لها مما لا يجعلها المصدر الأول للمعرفة بل يجعل العقل هو المنطلق.

ب-تبني المنهج الكلامي الأشعري القائم على التأويل المعقول: فهو كما يقول فضيلة أستاذنا عمار طالبي يأول آيات العقائد تأويل الأشعرية و يوجهها توجيههم[111] و من الأمثلة على هذا فقد فسر قوله تعالى: " **ثم استوى على العرش** "[112] بقوله " و المعتقد في هذا أنه سبحانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، و بالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة و الاستقرار والتمكن والحلول و الانتقال لا يحمله العرش، بل العرش و حملته محمولون بلطف قدرته و مقهورون في قبضته، كان الله ولا شيء معه، كان سبحانه قبل أن يخلق المكان والزمان ، و هو الآن على ما عليه كان "[113]

جـ - تقريره الصريح بأن المعرفة تحصل بالفكر أساسا لا بالذوق كما ذكرنا قبلا.

النتيجة التي نتوصل إليها مما سبق: أن الثعالبي لا ينكر الذوق و لكنه يأتي في نظره بعد اقتناع العقل مما يجعل الذوق تابعا للعقل و غير متعارض معه. و هو ما بينه السنوسي في شرحه لأبيات أحد العارفين مطلعها:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت لا شك أنت أنت

فبين أن المراد برؤية عين القلب المعرفة الذوقية التي هي آخر مقام السالكين، ويكون حينئذ معنى أنت أنت: أنت الآن بحسب المعرفة الذوقية هو أنت أولا بحسب المعرفة الرسمية التي أنتجتها البراهين العقلية، إذ علامة صحة الذوق أن يجيء على وفق الرسمية))[114] و بذلك تصبح مهمة الذوق التعاطف والتفاعل والهيام في جناب الله عز وجل الذي اقتنعنا بوجوده عقليا، و هكذا وفق الثعالبي بين الشريعة والحقيقة والتزم بمنهج القرآن الكريم في عرض العقيدة.

6- **الظاهر والباطن:** يقرر الثعالبي رفض القول بوجود ظاهر و باطن و يتجلى ذلك في نقده للتفسير الباطني للقرآن الكريم و رده على مدعيه[115]

و من ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى((**مرج البحرين يلتقيان**))[116] فبين أن الثعلبي (ت 427 هـ / 1035 م) ((ذكر في مرج البحرين)) ألغازا وأقوالا باطنة يجب أن لا يلتفت إلى شيء منها و يجب تركها، منها ما نقله عن الثوري ((مرج البحرين)) فاطمة وعلى، اللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين ثم تمادى في نحو هذا مما كان الأولى به تركه))[117].

و من ذلك أيضا ما أورده في تفسير قوله تعالى ((**و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين**))[118] قال: ((و حكى بعض الناس عن جعفر بن محمد قولا: أن الورقة يراد بها السقط من أولاد آدم ، والحبة يراد بها الذي ليس بسقط، والرطب يراد به الحي، واليابس يراد به الميت. وهذا القول جار على طريقة الرموز، و لا يصح عن جعفر بن محمد و لا ينبغي أنه يلتفت إليه))[119].

وهكذا يرفض الثعالبي التأويل الباطني و يقرر الاعتماد على الحديث ((و ليس لأحد مع الحديث إذا صح نظر))[120]. و تقديم الحقيقة على المجاز ((حمل اللقط على الحقيقة أولى إن لم يمنع مانع))[121].

نتوصل من خلال ما سبق إلى أن تصوف الثعالبي كان تصوفا سنيا في شكله و مضمونه و قد أضاف إلى ما سبق عمله على إصلاح ما بالتصوف من آفات كانت قد طرأت عليه كما أشرنا قبلا أثناء حديثنا عن عصره، و هو ما يجعل للثعالبي مكانة بارزة في مجال الإصلاح بمختلف جوانبه، ولنشر باختصار إلى إصلاحه الصوفي.

إصلاح التصوف

لقد عمل الثعالبي على إصلاح التصوف، و نكتفي بالإشارة إلى قضيتين مهمتين هما محاربة البدع والشعوذة، و محاربة ظاهرة التصنع والرياء.

أ- محاربة البدع والشعوذة: و من ذلك: **الزعم بحمل المرأة من الجن:** فقد نقد الثعالبي ما أورده النقاش (ت 351هـ/ 962م) من حمل المرأة من الجن قائلا: " و أما ما ذكره من الحبل فلا شك في ضعفه و فساد قول قائله، و لم أر في ذلك حديثا لا صحيحا و لا سقيما، و لو أمكن أن يكون الحبل من الجن كما زعم ناقله لكان ذلك شبهة يدرأ بها الحد عمن ظهر بها حبل من النساء اللواتي لا أزواج لهن، لاحتمال أن يكون حبلها من الجن كما زعم هذا القائل، و هو باطل "[122].

ب - محاربة ظاهرة التصنع والرياء التي ظهرت عند بعض المتصوفة:

و من ذلك ما أورده في تفسير قوله تعالى[123]: " **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** "[124] قال : " ... و هذا كله تغليظ على المرائين والمتصنعين و لا خلاف أعلمه بين أرباب القلوب و أئمة التصوف أن التصنع عندهم بهذه الأمور[125] ممقوت . و أما من غلبه الحال لضعفه و قوي الوارد عليه حتى أذهبه عن حسه فهو إن شاء الله من السادة الأخيار، والأولياء الأبرار... و قد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه و إلجائها إياه إلى الصياح، و هو في ذلك معذور، و من صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم في شيء، و كذلك من أظهر شيئا من الأحوال رياء أو تسميعا فإنه ملحق بالفجار دون الأبرار "[126].

الأخلاق

لا يكتمل الحديث عن التصوف دون الإشارة إلى الأخلاق. فهي تعد من الأهمية بمكان ، ذلك أنه لكي نرجع الناس إلى الدين الصحيح يجب أن نربي نفوسهم و نهذب طباعهم بقطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة و صفاتها الخبيثة[127]. و لكي تهذب النفس فقد حدد الثعالبي مجموعة من المبادئ نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية . نكتفي بالإشارة إلى ثلاثة منها. هي التوبة والورع والزهد.

أ-التوبة: عرفها بأنها ((الرجوع من أفعال مذمومة إلى أفعال محمودة و تتجلى في مظاهر عديدة، منها: البكاء أثناء تلاوة القرآن الكريم والتباكي لمن لا يقدر على البكاء، فالبكاء صفة العارفين. و مستنده في ذلك قوله تعالى " **و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** "[128] و قوله تعالى " **و يخرون للأذقان يبكون و يزيدهم خشوعا** "[129]. [130] و من وسائل التوبة : ذكر الموت و ما بعده من عذاب القبر و نعيمه و ما يتبع ذلك من حساب و عقاب و ميزان و صراط و جنة و نار و لذلك فمن الضروري أن يستوعب المؤمن كل هذا ليتمثله باستمرار و هو ما جعله يؤلف كتابه النفيس ((العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة))[131].

ب- الورع : و يتمثل في ترك المحرمات والكف عن الشبهات والقيام بجميع الواجبات والتثبت في جميع الأحوال قبل الفعل والترك اعتقادا و سلوكا حتى يتحقق من الحكم الشرعي، و يجب أن يكون هذا الورع داخليا فلا يغتر صاحبه بظاهر الأفعال، و مستنده في كل هذا القرآن والسنة.

جـ – الزهد: و يقصد به التخلص من الترف والبذخ والاستعداد الدائم بصالح الأعمال للقاء الله عز وجل والفوز بالجنة. والثعالبي يدعو إلى الزهد المعتدل الذي لا يهمل ضروريات الحياة. و مستنده في ذلك القرآن والسنة .

و يمكن أن نتوصل من خلال ما سبق إلى النتائج الآتية:

1- التمسك التام بالكتاب والسنة.

2- موافقة الظاهر للباطن لإرضاء الله عز وجل.

3- التحرر من مظاهر البذخ والترف و الغفلة عن ذكر الله عز وجل[132]

عوامل تصوفه السني:

هناك مجموعة من العوامل جعلت الثعالبي يخرج عن نطاق قيد مجتمعه الفكري(التصوف السلبي) و يعطي للتصوف مفهوما صحيحا هي:

1- منبته الطيب و ذكاؤه و نقاء سريرته، و أساتذته العظام.

2- استيعابه لعلوم عصره و إبداعه في مختلف العلوم الإسلامية و لا أدل على هذا من كثرة مؤلفاته. و يكفينا فيها فهرسته.

3- تشبعه بمصدر الإسلام أي الوحي المتمثل في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فأما ما يتعلق بالمصدر الأول فقد فسر القرآن الكريم بكامله وعاش حياته في رياضه. وأما ما يتعلق بالمصدر الثاني فإنه يعد واسطة في تلقي الحديث النبوي الشريف بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم. كما يعد حلقة وصلت ما قبله و ما بعده في مجاله، و قضية دراسة الحديث النبوي الشريف و حفظه بالسند لها أهميتها في الفهم الدقيق للإسلام و تجنب انحرافات المنحرفين .

و هكذا تشبع الثعالبي بالقرآن والسنة فسار في تصوفه على هديهما.

4- رحلاته: لقد مكنته رحلاته في طب العلم والتجول في مختلف بلاد المسلمين من الإطلاع على واقع المسلمين الفكري والثقافي والسياسي

والاجتماعي و دراسته دراسة نقدية، فساعده ذلك في بناء منهج صوفي سني غير مشوب بما كان شائعا في عصره من الخرافات

و هكذا كان تصوف الثعالبي سنيا و هو مما جعل كبار العلماء يثنون عليه و لم نجد أحدا من العلماء هاجمه، و ها هي إشارة مقتضبة لذلك.

ثناء كبار العلماء على الثعالبي:

- السنوسي التلمساني قال عنه : " سيدي عبد الرحمن الثعالبي : كان متصوفا زاهدا خافيا زهده "[133]
- أحمد زروق البرنسي قال عنه: " شيخنا الفقيه الصالح و الديانة عليه أغلب من العلم "[134]
- ابن سلامة البكري قال عنه : " كان شيخنا الثعالبي رجلا صالحا زاهدا عالما عارفا وليا من أكابر العلماء "[135].
- السخاوي (ت 643 هـ / 1245 م) : قال عنه " كان إماما علامة ".[136]
- محمد بن محمد مخلوف : (ت 1360 هـ / 1941 م) قال عنه " الإمام علم الأعلام الفقيه المفسر المحدث الراوية العمدة الفهامة الهمام الصالح الفاضل العارف بالله الواصل. أثنى عليه جماعة بالعلم والصلاح و الدين المتين"[137].
- أحمد بابا التنبكتي : (ت 963 هـ / 1555م) قال عنه" الشيخ الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع ولي الله الناصح الصالح العارف بالله من أولياء الله الصالحين المعرضين عن الدنيا و أهلها و من خيار عباد الله الصالحين ... و هو ممن اتفق الناس على صلاحه و إمامته، أثنى

عليه جماعة من شيوخه بالعلم و الدين والصلاح كالإمام الأبي والولي العراقي والإمام الحفيد ابن مرزوق [138]".

- مبارك بن محمد الميلي (ت 1364 هـ / 1945 م) قال عنه : " و إذا لم يظهر من الثعالبة أمراء عظام فكفاهم فخرا عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر عالم القرن التاسع "[139].

تأثيره الصوفي

لقد أثر الثعالبي كثيرا في ميدان التصوف ، و ذلك بثلاثة طرق .

1- طريق تلاميذه: لقد كان الثعالبي مدرسا ناجحا و عالما كبيرا و محدثا قديرا و مفسرا شهيرا و صاحب شخصية جذابة[140] مما جعله يخرّج عددا معتبرا من التلاميذ الذين صاروا كبار علماء عصرهم مثل السنوسي التلمساني الذي يعد أكبر عالم كلام في المغرب الإسلامي على مر العصور و محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف (ت 901 هـ / 1495 م) آخر الحفاظ في المغرب[141] و محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ /1503م) أكبر ناشر للإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء[142] و أحمد رزوق البرنسي الفاسي[143] (ت 899هـ / 1493م) و نكتفي بالإشارة إلى هذا الأخير الذي تتلمذ على كل من الثعالبي والسنوسي و شن حربا على المبتدعين من أدعيا التصوف و ألف كثيرا من الكتب في ذلك مثل " كتاب البدع " و " كتاب عمدة المريد الصديق من أسباب المقت في بيان الطريق " و "كتاب القواعد في التصوف " و " ذكر حوادث الوقت [144]" هذا الأخير يحتوي على 100 فصل بيَّن فيه بدع المتصوفة و قد أثر كثيرا في علماء زمانه و في الذين أتوا بعدهم . و من الذين تأثروا به محمد الصغير (كان حيا في 920 هـ / 1514 م) والد عبد الرحمن الأخضري

(ت 953 هـ / 1546 م). فقد تتلمذ عليه فتأثرت أسرته بمنهج زروق. في التصوف، و ألف كتابا هاجم فيه أدعياء التصوف الذين كان يسميهم الدجاجلة[145] ، و قد تأثر به ابن عبد الرحمن الأخضري الذي ولد بعد 44 سنة من وفاة الثعالبي كما تأثر بأستاذ أبيه زروق فهاجم المبتدعة من المتصوفة و ألف قدسيته الشهيرة في 348 بيتا بيَّن فيها التصوف الحقيقي وهو المعتمد على الكتاب والسنة و هاجم فيها متصوفة عصره المخالفين لذلك هجوما حادا و قد أشاد في هذه القدسية صراحة بتأثره بزروق رغم عدم دراسته عليه و نصه:

" و من يرد معرفة البدع و ما أثبتنا عليه أصل المدع

ففي كتاب شيخنا زروق فوائد بديعة الفتوق[146]

و قد وصل تأثير الأخضري إلى قسنطينة فتأثر به عبد الكريم الفكون (ت 1073 هـ/ 1662م) فتأثر بقدسيته حتى كاد يذكرها كاملة في كتابه القيم " منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية[147] " كما أورد رسالة مطولة لأحمد زروق يرد بها على أدعياء الولاية في وقته[148] وهو ما يبرهن على استمرار خط الثعالبي في التصوف بواسطة تلميذه زروق.

وإذا كان خط الثعالبي الصوفي قد وصل إلى قسنطينة فإنه وصل أيضا إلى ليبيا بواسطة زروق أيضا الذي استقر بطرابلس و توفي بها و منها انتقل إلى مختلف المناطق الإسلامية.

و هكذا نتوصل إلى أن التصوف السني الذي دعا إليه الثعالبي انتقل إلى تلمسان بواسطة السنوسي وزروق و منها إلى الصحراء بواسطة الأخضري و تلاميذه، و منها إلى قسنطينة و غيرها بواسطة الفكون و وصل إلى ليبيا وغيرها بواسطة زروق . و بذلك ساهم الثعالبي مساهمة فعالة في تطهير العقل المسلم

مما حل به من دمار.

2-طريق تأليفه: يعد الثعالبي من كبار العلماء الزهاد الذين بلغوا علمهم و أخلاقهم بواسطة الكلمة المكتوبة التي تنتقل من يد إلى أخرى و من دار إلى أخرى و من جيل إلى لاحقه. و كل جيل يتفنن في نسخ كتبه و يدرسها و يتمثلها و ينشرها. و لا زال الأمر إلى يومنا هذا[149] و قد اتجهت دراستها الآن إلى الميدان الأكاديمي ومنها رسالة فضيلة أستاذنا عبد الرزاق قسوم : عبد الرحمن الثعالبي والتصوف" ورسالة رمضان يخلف "عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير".

3-طريق زاويته: و هي الزاوية التي تأسست عند ضريح الشيخ الثعالبي و صارت مقعد الزوار و ملتقى الطلاب ، و قد ساند العثمانيون هذه الزاوية التي اشتهرت لكونها للثعالبي من جهة و في عاصمة الدولة الجزائرية من جهة أخرى مما جعل الثعالبية مدرسة في الزهد والورع[150]. ظلت تؤثر في الأجيال ، و يكفي أن نعرف بأن الهارب إليها خلال العهد العثماني لا تمسه الدولة بسوء مهما كانت جريرته إلى حد أن الساسة أنفسهم كانوا يأوون فيها الوفود الرسمية عندما يخشون اغتيال الأهالي لهم. ومن ذلك الوفد الذي أرسله الباب العالي إلى الجزائر لتسوية خلافات بين البلدين. حيث لم يجد باشا الجزائر مكانا أكثر أمنا من هذه الزاوية ليأوي فيها ضيوفه خوفا من اغتيالهم و يقيم معهم فيها بنفسه[151] و يكفيها شرفا أننا لم نجد أحدا من كبار العلماء طعن في صاحبها أو شنع عليه أو اتهمه بسوء.

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذه الرحلة الروحية في رياض تصوف الثعالبي أن

الثعالبي لم يكن شخصية منطوية منعزلة عن الواقع الاجتماعي، بل فعالة جذابة، فكان على رأس الثعالبة و ولى القضاء ثم عزل نفسه. اشتغل بالتأليف والتدريس فتخرج على يديه كبار العلماء كما صار في حقل التصوف رأس العارفين دون أن يأخذ طريقة صوفية أو يعطيها للمريدين، و قد تمكن من الخروج عن نطاق قيد مجتمعه الفكري و يعطي التصوف مفهوما صحيحا نابعا من القرآن والسنة، و هو ما ظهر لنا بجلاء من خلال مفاهيمه الصوفية كالولاية واللباس والخلوة و قضية المعرفة والظاهر والباطن و غير ذلك من المفاهيم الصوفية، و لقد أدرك ما وصل إليه كثير من متصوفة عصره من انحرافات فعمل على إصلاح التصوف و ركز في ذلك على القيم الأخلاقية الإسلامية كالتوبة والروع والزهد، و لقد أثر كثيرا في عصره و ما تلاه. بل و إلى الآن، و ذلك بواسطة تلاميذه و مؤلفاته و زاويته . فكان شعلة من النشاط جعله من الشخصيات الفعالة في المجتمع التي أدركت حال الأمة الإسلامية و ما حل بها من سبات فاتخذ نشر العلم والتصوف السني وسيلة للتغيير إضافة إلى الإصلاح الاجتماعي، فلم يكن يلقن الأوراد و يعطي الطريقة للمريدين. بل يلقن العلم والورع والتقوى. و بهذا نصل إلى حل إشكالية موضوعنا بالقول بأن الثعالبي استطاع أنه يتحرر من قيد مجتمعه الفكري و يعطي التصوف مفهوما صحيحا ينبع من روح الإسلام.

الهوامش:

[1] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط.م و ك . الجزائر. 1989م، جـ 2، ص 362.

[2] جمال الدين بوقلي حسن، الإمام ابن يوسف السنوسي و علم التوحيد، دط. م و ك . الجزائر، 1985م، ص 14، 15.

[3] عطاء الله دهين و آخرون، الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) ، د ط. م و ك . الجزائر ، 1985 م، ص 359، 360.

[4] مبارك الميلي ، المرجع السابق، ص 370-372.
[5] ولما توفي الشيخ الثعالبي انتقلت رئاسة المجلس إلى أولاد سالم (عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي و التصوف ، دط ، ش و ن ت ، الجزائر ن 1978 ، ص15، 25) .
[6] جما الدين بوقلي حسن ، المرجع السابق ، ص23، 24.
[7] عطاء الله دهينة و آخرون، المرجع السابق، ص 489، 490.
[8] رابح بونار، مقدمة مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي، دط . ش و ن ت ، الجزائر، 1968 م ، ص 13، 14.
[9] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، د ط . ش و ن ت ، الجزائر، 1981، ج 1 ص 43.
[10] مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين، ط 3، دار الفكر، بيروت، 1969م، 370.
[11] المرجع نفسه، ص 37.
[12] محمد بن عمر الطمار، تلمسان عبر العصور،د ط. م و ك، الجزائر، 1984،ص 221.
[13] عطاء الله دهينة و آخرون ، المرجع السابق، ص 431.
[14] عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق ص 30.
[15] جمال الدين بوقلي حسن، المرجع السابق ، ص 31، 32.
[16] أحمد بن داود ، العقد الجوهري في تعريف الشيخ عبد الرحمن الشهير بالأخضري، مخ رقم 8481، دار الكتب الوطنية، تونس، ورقة 7.
[17] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية، ط 1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 29.
[18] محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط 1. دار الكتاب العربي، بيروت. ج 1. ص 264.
[19] عبد الرحمن الثعالبي، العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، دط . المطبعة الحميدية، مصر، 1317هـ / ج 1. ص 1.
[20] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهام بتطريز الديباج، ط 1، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، 1989م، ص 260.

[21] عمار طالبي، مقدمة الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، ط 1 . م و ك . الجزائر، 1985م جـ 1، ص / ج.

[22] أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، ط 1. مؤسسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، 1982م، جـ 1. ص 70 .

[23] عمار طالبي، المرجع السابق، ص / ج.

[24] عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق ، ص 29.

[25] التنبكتي ، نيل الأبتهاج، ص 258، 259.

[26] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1 . دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998م، جـ 1 (1500-1830)، ص 91.

[27] التنبكتي ، نيل الابتهاج، ص 258. 259.

[28] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط دار الغرب الإسلامي، جـ 1، ص 89، 91.

[29] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 258، 259.

[30] المصدر نفسه، ص 258، 259.

[31] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط 7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، جـ 2، ص 272.

[32] التنبكتي ، نيل الابتهاج، ص 259.

[33] المصدر نفسه ، ص 258، 259.

[34] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق ، جـ 1، ص 273.

[35] محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور، جـ 1، ص 264، 265.

[36] أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي، ط دار الغرب، جـ 1، ص 92.

[37] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط 2 . مؤسسة نويهض الثقافية : بيروت 1980م، ص 90.

[38] أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق ، ص 68، 69. أيضا عبد الرزاق قسوم ، المرجع السابق ص 37، 38.

[39] أبوالقاسم الحفناوي ، المصدر السابق ، 70.

[40] التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص 259، 260.

[41] عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 90.

[42] عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق ، ص 143.

[43] أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق ، ص 70، أيضا : عادل نويهض ، المرجع السابق، ص 90.

[44] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط دار الغرب الإسلامي، جـ1،ص 92.

[45] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة . دكط . دار العودة . بيروت . د ت . ص 370، 371.

[46] عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق ص 50، هامش 4، ص 50.

[47] عبد المنعم الحفني، المعجم الفلسفي، ط 1 . دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م ص 57.

[48] الجرجاني علي بن محمد التعريفات.د.ط الدار التونسية للنشر تونس،1971م.ص 32.

[49] المرجع نفسه ص 32.

[50] المرجع نفسه ص 32

[51] المرجع نفسه ص 32

[52] المرجع نفسه ص 32

[53] ابن خلدون ، المقدمة ، ص 370.

[54] المصدر نفسه، ص 370.

[55] عبد المنعم الحفني، المرجع السابق ، ص 57.

[56] إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج و تطبيقه، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1983م، جـ 1. ص 58.

[57] عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص 54.

[58] ابراهيم مدكور، المرجع السابق، ص 59.

[59] علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط 8 ، دار المعارف، القاهرة، 1980م، جـ 3، ص 24.

[60] و من أراد التوسع في هذا فليرجع إلى رسالتنا " التنصير و موقفه من النهضة الحضارية المعاصرة، في الجزائر رسالة دكتوراه غير منشورة، قدمت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سنة 2001) القسم الأول، الباب 2 الفصل الرابع.

[61] الحديد /27.

[62] متفق عليه: البخاري89.90/9 و مسلم 1401 و أخرجه النسائي 60/6.

[63] عامل النجار، الطرق الصوفية في مصر، نشأتها و نظمهما و روادها، ط 6، دار المعارف ، مصر، 1995م. ص 9

[64] علي سامي النشار، المرجع السابق ، ص 19.

[65] إبراهيم مدكور، المرجع السابق، ص 62.

[66] ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ص 372.

[67] علي سامي النشار، المرجع السابق، ص 20.

[68] المرجع نفسه، ص 27، 28، 48.

[69] فضيلة أستاذنا عمار طالبي، مقدمة الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، دط . م و ك، الجزائر ، 1985م، جـ 1، ص /ع.ف.

[70] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 260.

[71] عمار طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ط 1. ش و ن ت . الجزائر، د ت ، جـ 1، ص 15.

[72] عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ط 1- ار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1983م، ص 470، 471.

[73] و من أراد التوسع في هذا فليرجع إلى ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 36.

[74] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط دار الغرب الإسلامي جـ 1، ص 91.

[75] البقرة/ 186.

[76] عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق عمار طالبي، جـ 1 ص 175.

[77] القيامة /20.

[78] عبد الرحمن الثعالبي ، المصدر نفسه، جـ 4، ص 521.

[79] و من أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى الجواهر الحسان.

[80] عبد الرحمن الثعالبي، العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة جـ 1، ص 2.

[81] المصدر نفسه، جـ 1 ص 4.

[82] المصدر نفسه، جـ 1، ص 120.

[83] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط 1، دار الفكر، 1975م . م3. جـ 9

[84] المصدر نفسه، م4، جـ 11.

[85] المصدر نفسه، م 6، جـ 15.

[86] و من أراد التوسع في هذا فليرجع إلى رمضان يخلف، عبد الرحمن الثعالبي و منهجه في التفسير (رسالة ماجستير غير منشورة قدمت بجامعة الأمير عبد القادر 1991-1992) ص 165.

[87] عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي و التصوف، ص 57.

[88] عبد الرحمن الثعالبي، العلوم الفاخرة، ج 1، ص 2، أيضا عمار طالبي . مقدمة الجواهر الحسان، ج 1، ص/ع.ف. أيضا عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق ، ص 58.

[89] محمد بن عمر الملالي، المواهب القدسية في المناقب السنوسية ، مخ رقم 6253، دار الكتب الوطنية ، تونس ، ورقة 22/ب.

[90] المصدر نفسه، ورقة 15/أ.

[91] عمار طالي، مقدمة الجواهر، ج 1، ص /ف.

[92] يونس /62.

[93] عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 2، ص 245.

[94] المصدر نفسه، ج 2، ص 246، 247.

[95] الملالي، المواهب القدسية، ورقة 22/ب.

[96] الجرجاني، التعريفات، ص 142.

[97] التهانوي، المولوي محمد اعلي بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، دط . مطبعة خياط د. ت ج 2، ص 459.

[98] عبد الرحمن الثعالبي، التقاط الدرر، رقم 15571 دار الكتب الوطنية، تونس ، ورقة 121 نقلا عبد الرزاق قسوم ، المرجع السابق ص، 67، 68.

[99] عبد المجيد النجار، العقل والسلوك في البنية الإسلامية، دط، مطبعة الجنوب، مدنين، تونس، 1980م، ص 89.

[100] التهانوي المولوي محمد، علي بن علي ، كشاف اصطلاحات الفنون، دط. مطبعة خياط، دت . ج 2، ص 514.

[101] الجرجاني، التعريفات، ص 57.

[102] علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ط4، دار المعارف، مصر، 1978م، ص 231، 235.

[103] الثعالبي متكلم.

[104] عبد الحليم محمود، أبحاث في التصوف (مطبوع مع المنقذ من الضلال) دط . مطبعة حسان، القاهرة، دت . ص 336 و ما بعدها.

[105] عبد الرحمن الثعالبي، التقاط الدرر، ورقة 270 .
[106] عبد الرحمن الثعالبي، رياض الصالحين، مخ رقم 4872، دار الكتب الوطنية، تونس ، ورقة 7
[107] عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، جـ 4، ص 521.
[108] محمد بن يوسف السنوسي، شرح المقدمات، مخ رقم 4872. مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، ورقة 192/ب.
[109] الأعراف 158.
110 أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 م، ص 114.
[111] عمار طالبي، مقدمة الجواهر الحسان، جـ 1، ص / ع.
[112] الرعد / 2.
[113] عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، جـ 2، ص 357، 358. و من أراد التوسع في هذا فليرجع إلى الآيات المتشابهات في تفسير الجواهر الحسان.
[114] الملالي ، المواهب القدسية . ورقة 202/ب.
[115] رمضان يخلف، عبد الرحمن الثعالبي و منهجه في التفسير، ص 101.
[116] الرحمن/ 19.
[117] عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، جـ 4، ص 333.
[118] الأنعام / 59.
[119] عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، جـ 1، ص 629.
[120] عمار طالبي، مقدمة الجواهر الحسان، جـ 1، ص / ك.م
[121] عمار طالبي، مقدمة الجواهر الحسان، جـ 1، ص / ك / م.
[122] عبد الرحمن الثعالبي ، جواهر الحسان، جـ 2، ص 350.
[123] عمار طالبي، مقدمة الجواهر الحسان، جـ 1، ص /ف.
[124] الزمر/23
[125] كأن يخر الإنسان مغشيا عليه إذا سمع القرآن متصنعا (عمار طالبي، مقدمة الجواهر، هامش 6.ص /ف.
[126] عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، جـ 4، ص 77، 78.
[127] أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود. دط مطبعة حسان، القاهرة، دت.ص 139.

[128] المائدة /83

[129] الإسراء / 109.

[130] عبد الرزوق قسوم، المرجع السابق ، ص 70.

[131] و من أراد التحقق من هذا فليرجع إلى العلوم الفاخرة في النظر في أمو الآخرة.

[132] عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص ص 71-75.

[133] الملالي ، المواهب القدسية، ورقة 22/ب.

[134] التنبكتي ، نيل الابتهاج، ص 258.

[135] المصدر نفسه، ص 258.

[136] المصدر نفسه، ص 258

[137] محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور، ج 1، ص 264.

[138] التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص ص257، 258.

[139] مبارك الميلي، المرجع السابق ج 2، ص 372.

[140] أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، ط دار الغرب الإسلامي،ج 1 ص 92.

[141] ابن مريم البستان ص 250، 251.

[142] آدم عبد الله الألولي، الإمام المغيلي و آثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا ، ط1 البابي الحلبي، مصر، 1974م. ص 31، 32.

[143] محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور ، ص 265.

[144] ابن مريم، البستان، ص 47.

[145] المهدي البوعبدلي، عبد الرحمن الأخضري و أطوار السلفية بالجزائر ، بمجلة الأصالة ، وزارة الشئون الدينية ، الجزائر، جانفي 1978 م، ص 25.

[146] المهدي البوعبدلي ، مجلة الأصالة ، ص27

147 - أنضر على سبيل المثال ، عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، تحقيق أبي القاسم سعد الله ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص ص124، 131، 132.

[148] أبوالقاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون 1986م، ص 110، 111.

[149] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط دار الغرب، ج 1، ص 93.

[150] المرجع نفسه، ص 93.

151 عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ص 135.